السرد في المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذاني

إعداد

د/ إلهام إسليم سلمان القرالة

أستاذ مساعد - قسم العلوم التربوية والاجتماعية

كلية الكرك الجامعية - جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

د/ سطام عواد نايف القويدر

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الخامس ٢٠١٩م

السرد في المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذاني

إلهام إسليم سلمان القرالة

قسم العلوم التربوية والاجتماعية – كلية الكرك الجامعية

جامعة البلقاء التطبيقية– الأردن

Elham.qaralleh@bau.edu.jo

د/ سطام عواد نايف القويدر

Gwedersattam@jmail.com

الملخص:

للمقامة عدة خصائص تدرس من خلالها ألا وهي القصة المقامية، ومضمونها وموضوعها، وراويها عيسى بن هشام، وبطلها أبو الفتح الإسكندري، والحوار البسيط الذي لا يكاد يظهر إلا بعبارات التعجب والاستفهام في المقامة المضيرية، وهناك خصائص المكان والزمان، حيث إن المقامة تحدد مكانها وزمانها مباشرة قبل بدء أحداثها.

ومن خصائص المقامة الوصف الذي كثر في المقامة المضيرية عن البيت والزوجة والمحلّة والغلام والإبريق، وجاء أسلوب المقامة مليء بالمحسنات البديعية من جناس وطباق وسجع وأسلوب ناعم في التقديم، وعن مكونات القصة بما في ذلك التبئير، وهو العلاقة بين الرؤية والشيء المرئي في النص السردي، ويشمل التبئير المبئر الذي يعرض علينا عالمه السردي، وقد ظهر عيسى المبئر، وعيسى الراوي، ومن التبئير أخذنا الحديث عن مستويات وهي سبعة مستويات، وشمل موضوع التبئير، الشخوص، والدهر، والمكان والمحال والبناء وغيرها في المقامة المضيرية.

أما عن الشخصيات المركزية في عالم السرد، وهي شخصية عيسى بن هشام الراوي الثاني بعد الهمذاني، وأبو الفتح الإسكندري الراوي الثالث، والتاجر

الراوي الرابع، وكان الحديث عن كل واحد منهم، وعلاقته بالسرد المقامي، وعن الزمن الحكائي، جاء الترتيب الزمني للأحداث عن طريق زمن التوازن المثالي، والذي اختفى من المقامة المضيرية، وحالة الانطلاق من وسط المتن الحكائي عن طريق الاسترجاع الخارجي والمزجي، أما الديمومة كالحذف والتلخيص، واللذان يساعدان على عملية التسريع السردي، وعن الأمكنة التي تدور عليها الحركة الروائية في الفضاء الحكائي، يعد عنصر مهم من عناصر السرد، وعن مكونات النص جاء الوصف بأنواعه، وظهر الراوي ومستويات روايته، وكذلك المسرود عليه، وعنصر التعرّف، وكان للرؤية السردية أثرها في هذه المقامة، ويظهر الخطاب السردي في هذه المقامة بوجود عدد من الاستطرادات الخطابية.

الكلمات المفتاحية: السرد – المقامة المضيرية – بديع الزمان – الهمذاني.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الخامس ٢٠١٩م

Narration in the hostile shrine of Badi Zaman Hamdhani

Inspiration of Islam Salman Al-Qarala
Department of Educational and Social Sciences - Karak University College
Al-Balqa Applied University - Jordan
Elham.qaralleh@bau.edu.jo
Dr. Sattam Awwad Naif Al-Qwaider
Gwedersattam@jmail.com

Abstract

The residence has several characteristics through which it is taught, namely, the story of Al Maqamah, its content and its subject, and it was narrated by Issa bin Hisham, and its hero Abu Al Fath Al Iskandari, and the simple dialogue that can hardly appear except with expressions of exclamation and interrogation in the distant maqamah, and there are properties of space and time, as the maqamah determines its place and time directly Before it starts.

Among the characteristics of the maqamah is the description that abounded in the hostile maqam on the house, wife, locality, boy, and pitcher. The maqam style was full of exquisite enhancements from anagrams, dishes, bravery and a soft style of presentation, and about the components of the story including the focus, which is the relationship between vision and the visible object in the narrative text, and includes The well-being that the narrative world presents to us, and the well-being, Jesus and the narrator, and from the focus we have come to talk about levels which are seven levels, and included the topic of the well-being, the persons, the age, the place, the places, the building, and others in the shrouded shrine.

As for the central figures in the world of narration, which is the figure of Isa bin Hisham, the second narrator

after Al-Hamdhani, Abu Al-Fath Al-Iskandari, the third narrator, and the fourth narrator, and the conversation was about each of them, and its relationship to the narrative narration, and about the narration time, the chronological order of events came through a time The ideal balance, which has disappeared from the hostile shrine, and the starting state from the center of the narrative textures through external and mixing retrieval.As for permanence such as deletion and summarization, which helps in the process of narrative acceleration, and the places on which the narrative movement revolves in the spatial space, is an important component of the secret D, and on the components of the text the description came in all its types, and the narrator appeared and the levels of his narration, as well as the narrative on it, and the element of recognition, and the narrative vision had its effect on this maqam, and the narrative discourse appears in this maqam with the presence of a number of rhetorical digestions.
Key Words: Narration- Prestige shrine- Badi El-Zaman-Hamdani.

لمحة عامة عن المقامة المضيرية:

تختلف هذه المقامة عن باقي مقامات البديع، حيث لم تحتوي على الكدية والاحتيال للبطل أبي الفتح الإسكندري، وإنما ذهبت تناقش موضوعاً آخر وهو كره البطل للمضيرة وطابخها وآكلها، والمضيرة هي طعام من اللحم واللبن والخبز.

دعا أحد التجار في البصرة أصدقاءه، وكان من ضمنهم الراوي عيسى بن هشام، والبطل أبو الفتح الإسكندري، وقدِّمت لهم المضيرة، فقام الفتح يلعنها وطابخها وآكلها وحاضرها، فاستغرب القوم منه ذلك، واعتقدوا أنه يمزح، وحين عرفوا جديته في الأمر، رفعوا المضيرة عن الطاولة، وسألوه عن سبب كرهه للمضيرة، فقال قصتي معها أطول من مصيبتي فيها، قالوا له تحدث ولا عليك.

فبدأ أبو الفتح يسرد أحداث قصة المضيرة، حيث دعاه بعض تجار بغداد إلى مضيرة، وهما في الطريق بدأ التاجر بالحديث عن زوجته، وحسن خُلقها وخلقها، وكيف تعمل نشيطة، وتحدث عن محلّته، وكيف أخذها من أصحابها وعن بيته وشباكه وبابه وأبريقه، وأسهب في ذلك الوصف، وتحدث أيضاً عن المرأة صاحبة العقد، وكيف أخذه منها، وتحدث عن الإبريق، ووصفه كثيراً، وخاصة غلامه ومن أين أتى به، وعن الكنيف (الحمام)، ومما صنع وكيف صُنع.

كل ذلك أدى بالتاجر إلى الفرار دون انتظار الطعام، فأصبح التاجر يصيح عليه، يا أبا الفتح: المضيرة، فاعتقد الأطفال أنه لقب له، فصاروا ينادونه المضيرية المضيرة... فرمى أحدهم بحجر كسر رأسه، فدخل السجن سنتين، ومن وقتها حرّم المضيرة على نفسه، فاقتنع الجالسون معه برفضه

للمضيرة، وأيّدوه وحرّموها على أنفسهم، وقالوا: قديماً جنت المضيرة على الأحرار، وقدّمت الأرذال على الأخيار.

أسلوب المقامة:

يأتي تقديم البديع لقصص مقاماته من خلال أسلوب ناعم جميل عذب؛ وذلك لتدخل المقامة في ذهن القارئ، كل ذلك يدل على أنَّ البديع يمتلك محصولاً لغوياً كبيراً، يستطيع من خلال التعبير والدخول إلى أعماق الناس والقرّاء.

في المقامة المضيرية، نرى أنَّ البديع دخل في موضوع المقامة بأسلوب بسيط، وجذَّاب، وجميلٍ؛ لإكمال كامل القصة، ثم يسير قدماً مستخدماً في ذلك ألواناً من البديع، ومن ذلك:

الجناس: "في قصعة يزل عنها الطرف، ويموج فيها الظرف".

"وهي تدور في الدور، من التنور إلى القدور".

"لكنها أوسع مني خُلقاً، وأحسن خلقاً".

السجع: "إذا حُرِّك أن، وإذا نقر طن".

"تثني على الحضارة، وتتدحرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة".

الطباق: "وإذا المزاح عين الجد". "إذا حُرِّك أن، وإذا نقر طن".

بنية الاستهلال السردي:

جملة حدثنا عيسى بن هشام، استهل بها البديع مقامته، وهي لا تعطي تصوراً عن هذا الراوي، المجهول الذي يتخفى في ثناياها، كما لا تكشف عن رؤيته للعالم الفني، الذي يخطط لظهوره، ودور الراوي في البنية السردية كونه البوابة التي يمرُّ من خلالها المقامة إلى المتلقي.

تنتمي صيغ الاستهلال السردي إلى الماضي، وهي بالتالي تكشف عن واقعة تدور في الزمن الماضي، بغض النظر عن خطابها بصيغة

الإفراد، أو الجمع، أم صيغة الغائب أو المتكلم، فالاستهلال السردي لا غنى عنه؛ لأنه ينظم عملية الرواية والتلقي معاً.

تقوم الجملة السردية الاستهلالية بدور المهيئ للأحداث، والمقدم لها، وظهر ذلك مما قامت عليه من وصف، شكّل مضمون الجملة الاستهلالية.

إنَّ تركيب الاستهلال يكشف ما يلي(١):

- الاستهلال السردي نوع من الإسناد المركب الذي انحدر من تقاليد الإسناد في فن الإخبار.
- إنَّ الرواية الثانية المنسوبة لراوٍ معلوم تندرج ضمن الرواية الأولى.
- إنَّ الاستهلال السردي يتضمن تعدداً في مستويات الرواية.

فهناك راوٍ خارجي بضمير الغائب، وراوٍ داخلي وبطل راوٍ، أو أبطال يتحاورون فيما بينهم، وسنبحث ذلك فيما بعد.

مكونات القصة المقامية:

أولاً: التبئير:

هو العلاقة بين الرؤية والشيء المرئي، إنه العين التي من خلال ما ترى ينتج عالم السرد، وهناك مستويات ثلاثة للتبئير، وهي:

- تبئير من الدرجة صفر، وهو يقوم على وجود راوٍ يقدم الأحداث من وجهة نظره هو.
- تبئير داخلي ثابت، وهو منظور شخصية واحدة تقدم المواقف والأحداث.
- تبئير داخلي متعدد، وهو تقديم الأحداث لنفسها في أكثر من مرة.

(١) إبراهيم، عبد الله، **السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، ص١٩٦.

- تبيئر خارجي، وهو يتم فيه رصد السلوك الخارجي للشخصيات، دون التغلغل في دواخلها وأفكارها، ومشاعرها، حيث يبدو المؤلف أو الراوي مراقباً للأحداث والشخصيات فقط(١).

وللتعرف أكثر على موضوع التبئير لا بد من دراسة ثلاثة عناصر أساسية وهي:

أ- **المبئر وأنواع التبئير:**

هو ذلك الشخص الذي يعرض علينا عالمه السردي من خلال الإدراك الحسي عنده، فأحداث القصة تكون بعيدة عن مرمى العين، ولا بد من وجود شخص يوصل إلينا هذه الأحداث في المقامة المضيرية، ويمكن القول إنَّ المبئر الأساسي هو عيسى ابن هشام، الذي يقوم بدور الراوي أيضاً، فعيسى المبئر غير عيسى الراوي، حيث إنَّ عيسى الراوي يتحدث عن أحداث حصلت معه قديماً، وعيسى المبئر هو الذي كان موجوداً داخل هذا الحدث وعاشه فعلاً. فالراوي يعلم أكثر من البطل حتى لو كان هو البطل نفسه، وهذا يقودنا أن نقول: بأنَّ التبئير في المقامات هو تبئير داخلي ثابت، فرؤية عيسى بن هشام، وإدراكه للأحداث هي القناة التي يمر منها المشهد السردي إلى عين المتلقي أو القارئ.

فرق آخر بين عيسى المبئر والراوي، فعيسى المبئر لم يكن يعرف بطل قصته مسبقاً، ولم يكن يعرف الأحداث القادمة، بينما عيسى الراوي يعرف بطل قصته، ويعرف الأحداث جميعها؛ لأنها مرَّت عليه سابقاً.

في المقامة المضيرية يعد التبئير من النوع الداخلي المتنوع، وليس الثابت، حيث يبدأ عيسى بن هشام بتقديم الإطار العام، ثم يظهر بعد

(١) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص٤٢.

الإسكندري؛ ليحكي قصته مع التاجر، وأثناء حديث الإسكندري، يتحدث التاجر عن أحداث مرَّت به فيكون هو أيضاً مبئراً، ومثال ذلك:

"كان لي جار يكنى أبا سليمان، يسكن هذه المحلة، وله من المال ما لا يسعه الخزن، ومن الصامت ما لا يحصره الوزن، مات رحمه الله، وخلف خلفاً أتلفه الخير والزمر"(١).

ب- مستويات التبئير:

هناك مستويات كثيرة يمرُّ خلالها السرد قبل أن يصل إلى المتلقي، ومجمل هذه المستويات:

المستوى الأول: هو تبئير خارجي للراوي الأول، وهو الهمذاني، صاحب المقامات، كما يتضح ذلك من جملته الافتتاحية(حدثنا عيسى بن هشام).

المستوى الثاني: هو تبئير خارجي لعيسى بن هشام حال روايته، أي عيسى الراوي، يروي ما حصل معه من أحداث مع التاجر أبو الفتح، حيث يقول: " كنت بالبصرة ومعي أبو الفتح الإسكندري، رجل الفصاحة..."(٢).

المستوى الثالث: وهو تبئير داخلي لعيسى الشخصية، الذي كان موجوداً وقت وقوع الأحداث، وأصبح واعياً بحدودها ومغزاها، حيث لم يكن يعرف بطل المقامة إلاّ بعد حدوث القصة.

المستوى الرابع: وهو خارجي للإسكندري حال روايته مع التاجر، فيقوم بتبئير الحكاية من الخارج كما فعل عيسى بن هشام الراوي، حيث

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، دار اقرأ، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص٢٢.

(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.

يقول: " قصتي معها أطول من مصيبتي فيها، ولو حدثتكم بها لم آمن المقت وإضاعة الوقت"(١).

المستوى الخامس: وهو داخلي للإسكندري الشخصية حال معاصرته للأحداث، وملامسته لها، وما حصل معه وقتها.

المستوى السادس: تبئير خارجي للتاجر حال روايته لأحداث وقعت له مع جاره وأولاده، انتهت بحصوله على الدار، حيث يقول: " كيف حصلتها وكم من حيلة احتلتها حتى عقدتها، كان لي جار يكنّى أبا سليمان يسكن هذه المحلة"(٢).

المستوى السابع: وهو تبئير داخلي للتاجر الشخصية حال وقوع الأحداث، حيث يكون موجوداً ساعة الحدث، وما حصل معه مع بطل الرواية أبو الفتح الإسكندري.

جـ- موضوع التبئير:

لدراسة موضوع التبئير لا بد من توضيح العلاقة بين المبئر عيسى ابن هشام وموضوع التبئير وهو أبو الفتح الإسكندري، حيث يقوم المبئر عيسى برصد تحركات الإسكندري وحيله وما يحصل معه من مواقف من زوايا بصرية متنوعة، حيث يرصد المكان المحيط والشخصيات التي تساعد البطل أيضاً.

ويأخذ الموضوع بذلك بعدين أساسيين: هما قدرة أبو الفتح الإسكندري الأدبية من ناحية، وتلونه شكلاً وموضوعاً من ناحية أخرى، حيث نلمح تعاطفاً في سلوك البطل وإعجابا به، سلوك غير مقبول اجتماعياً.

(١) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص٧٢.

(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٢.

ولا يقتصر موضوع التبئير على شخص الإسكندري، فكل عناصر وأدولات المقامة مبأره، حيث الدهر والمكان والأشخاص والبناء، وكل شيء يتبع ذلك، فموضوع التبئير هو المشهد السّردي الذي يقدمه لنا المبئر، وهو الراوي أو الصوت الذي يحكي لنا ذلك المشهد، وبصورة أوضح قليلاً لم تفرق الدراسات بين أُولئك الذين يرون، وهؤلاء الذين يتكلمون(١).

ثانياً: الشخصيات:

في المقامات الهمذانية هناك شخصيات مركزية تلعب دور البطولة، سواء في مقامة أو أكثر، وهناك شخصيات هامشية تكون مكملة للحدث الرئيس في المقامة، بحيث يترك النص لها جانباً صغيراً فقط، وفي المقامة نعرض الشخصيات المركزية فهي كالآتي:

- **أبو الفتح الإسكندري:** "هو رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه، والبلاغة يأمرها فتطيعه"(٢)، فهذا الرجل بقدرته الكلامية والبيانية يستطيع الدخول إلى قلوب الناس، ويحصل على ما يريد، والمعروف عن أبي الفتح الإسكندري، أنه مكدي ولكن في المقامة المضيرية لم نشاهد أو نلمح الكدية في شخصيته، وبالتالي فهي شخصية مسطحة، تقدم لنا أنواعاً من السرد.

وشخصية الإسكندري متشعبة، بقدر تشعب المواقف التي توضع فيها، فقد كان بطلاً في كل مقامة، ولكنه في المقامة المضيرية بدا مغلوباً على أمره، يستطيع الصبر إلى حد لا تلبث بعده أن تنفجر عصبيته، وكأنه أصيب بالجنون، وهو يسمع ما لا يريد سماعه، بعكس كل شخصياته في مقاماته.

(١) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص٤١.

(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.

- **عيسى بن هشام:** كان كحال الإسكندري، مستهيناً بالأخلاق والقيم، وهو رفيق الإسكندري في كافة مقاماته، وقد اختلط دور الراوي عيسى بالشخصية عيسى لما مرَّ معه من أحداث عبر الزمن المسرود، فهو يمثل الراوي نفسه بديع الزمان الهمذاني، ويسرد أحداثاً مهمة مرَّت في حياة البديع حقيقة كانت أم خيال.
- **التاجر:** شخصية استغلالية، يطيب له الحديث عن نكبات الناس، وحصوله على المنفعة، وهو نادر الوجود في المجتمع، ولكن الهمذاني، جاء به ليجعل منه شخصاً نموذجاً، يجمع كل ما في واقع التجار من أساليب المكر والغش والخداع، وانتهاز الفرص؛ لتكديس الأموال.

كان مغروراً متبجحاً فاقداً للقيم المعنوية والخلقية أمام سلطان المال، كما ويظهره البديع بشخصية الإنسان الساذج، السخيف إلى حد التفاهة، فهو يعجب بالباب" إنه إذا حرك أن، وإذا نقر طن"[(١)].

ثم تظهر شخصيته المريضة، فهو يتباهى أنه استغل بؤس وتعاسة امرأة كانت تبيع سرَّاً عقداً من اللؤلؤ، فيقول معتزاً: " فأخذته منها أخذة خلس، واشتريته بثمن بخس"[(٢)]، كما ويفخر في براعته بالاحتيال على جاره، وتظاهره بمساعدته، حيث عرض عليه أثواباً بالية عتيقة؛ ليتاجر بها مع تغافله عن اقتضائه ثمنها" حتى خفت حاشيته، ورقت حاله"، وهكذا فإننا نرى أنَّ كل متاع من دار التاجر يمثل أشلاء الناس وبقاياهم، فهو يفرح بحصوله عليها بعد أن تكون هناك عين دامعة، أو جثة هامدة لأصحابها، وكأنه تاجر مصائب.

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٢.

(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٤.

فهو رجل مختل نفسياً، حتى جعله يتحدث عن زوجته، وكما ويتحدث عن سلعة يبيعها، فهي كالباب والحصير والعقد وغيره، فالهمذاني درس نفسية تجار عصره، واستطاع أن يدخل في أعماقهم، فصوّرهم متمثلين بهذا التاجر.

- **المرأة الغنية:** امرأة ضاق عليها الدهر، وقررت بيع عقدها لهذا التاجر، فحاول استغلالها، ولكنها رفضت، فهي مثال للشرف والكرامة، وعلى قول المثل العربي: " تجوع الحرة، ولا تأكل بثدييها"، فهي تمثل الطبقة الفقيرة في المجتمع التي تفضل الخسارة، وربما الجوع على المتاجرة بشرفها.
- **الغلام:** صوّره البديع عبداً مطيعاً لأوامر صاحبه، وكأنه آلة في يد التاجر، وتمثل في ذلك تجارة الرقيق.

نلاحظ تناقض وتفككك الشخصيات في هذه المقامة، منها السيئ ومنها الحسن، فقد كان بديع الزمان يعلم ما يدور داخل نفسية كل من شخصياته، وحاول إظهار المخفي منها للقارئ، وكأنه طبيب نفسي يدرس حالات مرضية من المجتمع الذي يعيشه ذلك العصر.

هذه المقامة اختلفت عن غيرها من مقامات البديع، فالشخصية الهامشية أصبحت رئيسة مركزية، وهي شخصية التاجر، فهو من صنع عنصر السرد في المقامة، خلافاً عن باقي المقامات. فالشخصيات المركزية لها اسم يدل على وجودها في المقامة، وشخصيات هامشية ليس لها سوى مجرد دور داخل السرد، لا توجد أية خصوصية للعوامل القائمة بها.

ثالثاً: الزمن الحكائي في المقامة المضيرية: في المقامة المضيرية تبدأ عملية الكلام، والحكاية بعد انتهاء الأحداث، فنواجه سرداً لاحقاً، ومن خلال بعدي الترتيب والديمومة نتعرف على السرد الزمني.

أ- **الترتيب**[١]: وهو العلاقة بين زمن المبني الحكائي، وزمن المتن الحكائي، وجميع حكايات الإسكندري، ومن ضمنها المقامة المضيرية، وهي جزء مشارك في صنع الزمن للنص، وإبراز الايهام الزمني داخل النص، ويتخذ الترتيب في المقامة المضيرية حالتين أساسيتين وهما:

١- **زمن التوازن المثالي:** وهو توازي زمن وقوع الأحداث مع زمن حكايتها، حيث راعت كتابة المقامة الترتيب الزمني نفسه، حيث تتخلص الأحداث فيما يلي:

- الدعوة إلى الغداء وتقديم المضيرة لأبي الفتح وعيسى بن هشام.
- أبو الفتح الإسكندري يلعن المضيرية وآكلها وطابخها.
- تقديم أبو الفتح لأعذاره بسبب ضياع المضيرة على القوم.
- البدء بالحديث عن قصته مع التاجر الذي دعاه لأكل المضيرة.
- السرد غير المتناهي عن وصف الزوجة والبيت والإبريق والغلام.
- ملل البطل من كثرة السرد وهروبه من البيت.
- دخوله السجن بسبب رميه أحد المارة بحجر.
- قبول عذره بسبب سجنه وتحريم المضيرة من قبل الحضور كاملين.

في المقامة المضيرية لم يتحقق التوازن المثالي، بل كُسر بواقع الاسترجاع لأحداث سابقة، فعيسى يبدأ بتقديم المضيرة لهم، ثم رفعها ولعنها من قبل أبو الفتح الإسكندري، ثم يبدأ بعرض قصة المضيرة مع التاجر وسبب لعنه لها.

٢- **حالة الانطلاق من وسط المتن الحكائي**[٢]: لعل المقامة المضيرية تمثل هذه الحالة خير تمثيل، حيث يبدأ السرد من لحظة تأخذ في التأزم

(١) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص٥٣.

(٢) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص٩٥-٩٦.

تدريجياً، ويكتشف القوم معادة الإسكندري للمضيرة، ويسألونه عن سبب هذه العداوة بينه وبينها، فيسر لهم قصة حدثت له قبل اجتماعه بهم.

إن الانطلاق من وسط المتن الحكائي في هذه المقامة يتم عبر آلية الاسترجاع، وللاسترجاع أنواع في المقامة المضيرية، وهي:

١ـ **استرجاع خارجي:** حيث تقع المدة الزمنية التي يدور فيها الحدث المسترجع خارج إطار الزمن المحكي الأساس، وهو اجتماع عيسى مع أبي الفتح وآخرين في دعوة بعض التجار، وهو زمن حاضر، وقام فيه البطل باسترجاع قصته مع التاجر، وهذا النوع من الاسترجاع هو استرجاع لأحداث ماضية مؤلمة وسيئة.

٢ـ **استرجاع مزجي:** وفيه يلتقي الاسترجاع مع بداية الحدث الأساسي في القصة(١)، ففي المقامة المضيرية نلاحظ أن الحدث بدأ بالمضيرة وانتهى بالمضيرة، رغم تداخل أحداث سردية خرجت عن موضوع المضيرة، فنلاحظ بداية الحدث فيها " وحضرنا معه دعوة بعض التجار، فقدّمت إلينا مضيرة، تثني على الحضارة"(٢)، كما نلاحظ نهاية المقامة بـ" وقلنا قديماً جنت المضيرة على الأحرار وقدمت الأرذال على الأخيار"(٣). فالاسترجاع المزجي هذا يعني ارتباط المقدمة بالخاتمة، بتخلل أحداث السرد الأخرى، وهذه المقامة هي خير ما يمثل هذا النوع من الاسترجاعات. ومن الأمثلة على الاسترجاع المزجي في المقامة، استرجاع التاجر البغدادي قصة جاره أبا سليمان، عندما أخذ منه المحلّة، حيث يقول: " كيف حصلتها، وكم من حيلة احتلتها، حتى

(١) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص٦٠.

(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.

(٣) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٩.

عقدتها، كان لي جار يكنى أبا سليمان يسكن هذه المحلّة، وله من المال ما لا يسعه الخزن"(١).

وتسير الأمور بالتاجر البغدادي ويذكر العدد من أحداث الماضي، ويسترجع ذلك لأبي الفتح الإسكندري وخاصة قصة المرأة التي جاءت تبيع عقدها خير من تجارتها بشرفها، ويقول: " وحسبك يا مولاي أني كنت منذ ليالٍ نائماً في البيت مع من فيه، إذ تهرع علينا الباب، فقلت من الطارق النتاب، فإذا امرأة معها عقد لآل في جلدة ماء، ورقة آل تعرضه للبيع"(٢).

هذه الاسترجاعات المؤلمة، إن دلّت على شيء فإنما تدل على حقارة أسلوب التاجر في تحصيل وجمع المال، حيث اتخذ عدة طرق وحيل واستغلال لأوضاع محرجة للحصول على المال، فالتاجر في هذه المقامة نال اهتماماً أقل بكثير، مما ينبغي في الدراسات لهذه المقامة، وحاولت إعطاء صورة بسيطة عنه، حيث نال" البطل في هذه المقامة اهتماماً أقل بكثير من التاجر، فالتاجر نموذج لفئة من الناس لها أخلاقها وحساباتها، وطرائقها في التفكير، وفي جمع المال، وفي التعامل مع الناس، وهي تستخدم العقل في التخطيط والتدبير، ونصبه الشراك واصطناع الحيل وانتهاز الفرص"(٣).

ب- الديمومة: نستطيع ضبط ايقاع السرد، وذلك من خلال الديمومة، وهي تتكون من آليات أربعة، وهي الحذف والخلاصة والمشهد، ومن ثم الوقفة(٤).

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٢.
(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٤.
(٣) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص٦٠.
(٤) فاعور، أكرام،**مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.

- **الحذف:** عنصر مهم في تسريع الأحداث السردية، حيث يتغافل النص السردي عن مجموعة أحداث حصلت ولا يتعرض لذكرها، وذلك للوصول إلى الحدث الرئيس بالسرعة القصوى، ويتضح ذلك في المقامة المضيرية" دعاني أحد التاجر إلى مضيرة وأنا ببغداد، ولزمني ملازمة الغريم، إلى أن أجبته إليها"(١)، حيث حذف السارد سبب دعوة التاجر له، لتناول المضيرة، ولم يوضح علاقة أبي الفتح مع هذا التاجر، والهدف من هذا الحذف هو إسقاط فترات زمنية هامشية.
- **الخلاصة:** هي تلخيص المدة الزمنية بأحداث سردية بسيطة، وهي نوع من التسريع السردي للأحداث ومهمتها في المقامة المضيرية تقديم الاسترجاع، فيلخص أبو الفتح الإسكندري ما يشعره، وما يتوقع حدوثه إن هو قام بالاسترجاع، يقول: " قصتي معها أطول من مصيبتي فيها، ولو حدثتكم بها لم آمن المقت وإضاعة الوقت"(٢).
- **المشهد:** المقامة عبارة عن مجموعة من المشاهد وربما تحتوي المقامة على مشهد واحد كامل يتم فيه التفصيل، وهذا نوع من أنواع التبطيء السردي للأحداث، نلاحظ ذلك في المضيرية، وحديث التاجر عن زوجته" وقمنا فجعل طول الطريق يثني على زوجته، ويفدها بمهجته، ويصف حذقها في صنعتها، وتأنقها في طبخها، ويقول يا مولاي لو رأيتها والخرقة في وسطها، وهي تدور في الدور من التنور إلى القدور، ومن القدور إلى التنور، تنفث بفيها النار وتدق بيديها الأبزار، ولو رأيت

(١) فاعور، أكرام،**مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٩.
(٢) فاعور، أكرام،**مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٢.

الدخان وقد غبر في ذلك الوجه الجميل، وأثر في الخد الصقيل...."[١].

إن التبطيء السردي في الحدث السردي يرافقه تبطيء في حركة الزمن داخل المشهد نفسه، فقد يستغرق المشهد دقائق لا تتجاوز الساعة بينما الخلاصة تعرض أحداثاً قد تستغرق أياماً وساعات، وربما أشهر وسنوات في عدد قليل من الجمل.

- **الوقفة:** هنا يبدو وكأن السرد توقف، ودخل في إطار الوصف، والوقفة تمثيل كامل للتبطيء السردي، وتشتمل على المنولوجات الطويلة التي يتعرض لها البطل، ليعبر عن قدرته وبلاغته، ومن الوقفة في المقامة المضيرية، وصف التاجر لبيته وغلامه، وغيرها، فتشعر أن السرد توقف ودخلنا في الوصف، كقوله: " وهذه داري كم تقدر يا مولاي انفقت على هذه الطاقة، انفقت عليها فوق الطاقة ووراء الفاقة، كيف ترى صنعتها وشكلها، أرايت بالله مثلها، أنظر دقائق الصنعة فيها، وتأمل حسن تعريجها فكأنما خط بالبركار "[٢].

وبذلك فالزمن هو الذي لا يستطيع الإنسان امتلاكه كالمكان، وإنما نستطيع أن نشعر به من خلال الحدث السردي، وهو مرتبط بشكل مباشر مع الشخصيات التي تدور في يد الزمن والمكان، ولهذا نجد الزمن الحكائي" هو مجموعة العلاقات الزمنية من سرعة وترتيب والمسافة بين المواقف والأحداث المحكية وعملية حكايتها"[٣].

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٠.
(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢١.
(٣) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص٥٢.

رابعاً- الفضاء الحكائي: الفضاء هو المكان الذي تدور فيه أحداث متسللة يصنعها الشخوص مع الراوي، وتظهر فيه المواقف والسياق الزمني، أو بمعنى آخر هو مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية(١)، وهو عنصر مهم من عناصر السرد، ويمكن للراوي أن يحول المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم، ويتحول بالنهاية إلى موضوع للسرد.

ويمكن دراسة هذا الفضاء الحكائي في مقامات بديع الزمان الهمذاني من خلال بعدين رئيسيين

وهما: المدن التي تقع فيها أحداث السرد، والثاني هو الأماكن التي تظهر من خلال السرد وهي المساجد والسوق والدور والطريق وغيرها، وفي المقامة المضيرية يظهر هذان البعدان بشكل واضح، ففي مقدمة المقامة، يقول: " حدثنا عيسى بن هشام، قال: كنت بالبصرة ومعي أبو الفتح الإسكندري"(٢)، فالمدينة هي البصرة محددة واضحة بشكل صريح، وهناك مدينة أخرى ظهرت مع سير السرد في الرواية، وهي مدينة بغداد، حيث يقول: " دعاني بعض التجار إلى مضيرة وأنا ببغداد"(٣).

وأما البعد الثاني فقد ظهرت فيه أماكن مختلفة فرعية داخلة بأحداث السرد، ومن ذلك الطريق" وقمنا فجعل طول الطريق يثني على زوجته"(٤)، وأيضاً ظهرت المحلّة وهي ملك للتاجر: " حتى انتهينا إلى محلّته ثم قال يا مولاي ترى هذه المحلّة، وهي أشرف محال بغداد، يتنافس الأخيار في

(١) الحمداني، حميد، **بنية النص السردي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص٢٩.

(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.

(٣) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٠.

(٤) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٠.

نزولها ويتغاير الكبار في حلولها ثم لا يسكنها غير التجار"[١]، وبالإضافة للطريق والمحلّة أيضاً ظهرت أحداث جديدة في الدار التي يملكها التاجر، حيث يقول: " وانتهينا إلى باب داره، فقال هذه داري، كم تقدر يا مولاي انفقت على هذه الطاقة"[٢].

فهذه مجموعة الأمكنة التي ظهرت محاورها من خلال سرد التاجر البغدادي أحداث جرت فيها، ومشاهد وصفية لها، فالوصف يعد أهم صفات المكان، فعندما وصف التاجر بيته، عرفنا أنه سيدخله مع الضيف، وعرفنا تفاصيله كاملة على لسان صاحبه، وبهذا فقد أهتم بديع الزمان الهمذاني برسم المكان على لسان بطله أبي الفتح الإسكندري.... وأولاه عناية فائقة لأن المكان يصنع الحدث، ويصنع المشهد والوقفة، وبالتالي فالمكان متفق مع الزمان ومترابط معه، ولكن المكان يبقى بالتالي لعبة بيد الزمن.

المقامة المضيرية جرت كلها في مكان واحد، وهو بيت التاجر في البصرة، الذي دعا بعض التجار إلى مضيرة ودار هذا الحديث الشاق على لسان أبي الفتح الإسكندري متطرقاً بذلك للأمكنة الفرعية التي دارت فيها قصته مع تاجر آخر في بغداد، فالمكان هو جزء من مكونات النص السردي، متفقاً بذلك مع تقنيات أخرى تساهم في تكوين البنية السردية العامة للمقامة.

- مكونات النص في المقامة المضيرية:

أولاً- الوصف: يظهر الوصف جليّاً في روايات الهمذاني، وخاصة في المقامة المضيرية، ونستطيع دراسة الوصف فيها من خلال ثلاثة مستويات رئيسية، وهي:

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢١.

(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٣٢.

- **الوصف في بداية المقامة:** وهو وصفاً للراوي أو البطل، وفي مقدمة المقامة المضيرية شاهدنا وصفاً لأبي الفتح الإسكندري، حيث قال عنه عيسى بن هشام: " رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه، والبلاغة يأمرها فتطيعه"(١).
- **الوصف عند ظهور البطل:** وهو وصف للأحداث عند ظهور بطل المقامة، وهو وصف تمهيدي لما سيأتي بعد ذلك من خلال أحداث وممارسات، حيث نشاهد: " حضرنا معه مضيرة تثني على الحضارة، وتترجرج في الغضارة، وتوذن بالسلامة"(٢)، فهذا وصف للمضيرة رافق ظهور البطل أبو الفتح الإسكندري، وقبل بداية القصة الحقيقية للمضيرة.
- **الوصف في حديث البطل:** وذلك كثير في المقامة المضيرية، حيث تحدث البطل عن أوصاف زوجته ومحلته، وداره وغلامه، وابريقه وحمامه، وغيرها كثير، ومن ذلك قوله: " يا مولاي تريد كنيفاً يزري بربيعي الأمير وخريفي الوزير، قد حصص أعلاه وصهرج أسفله، وسطح سقفه، وفرشت بالمرمر أرضه"(٣).

ثانياً- الخطاب والسرد: عادة ما تتواجد خطابات مختلفة داخل السرد، إذ يصعب علينا أن نجد سرداً نقيا من الخطاب، وفي مقامات الهمذاني يمكن اعتبار مقاماته تعليمية نوعاً ما، وفيها من الاستطرادات الخطابية الشيء الكثير، وهو ما يدور على لسان البطل والراوي، فالراوي

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.
(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.
(٣) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٨.

يحاول أن يجد الأدب في نفسه، والبطل بارع ونشيط ومحتال في أغلب المقامات.

تكاد تخلو المقامة المضيرية من الخطاب الزائد عن حاجة السرد، فقد خلت من الخطابات الشعرية تماماً، وبقي جزء من الخطاب النثري فيها، فعندما رفض البطل أكله المضيرية عند أحد التجار، سأله الحاضرون عن سبب رفضه ولعنه للمضيرة وآكلها وطابخها، حيث بدأ بالحديث والخطاب وأدخله في نص السرد، فيجيب بقوله: " قلنا هات، قال: دعاني بعض التجار إلى مضيرة، وأنا ببغداد ولزمني ملازمة الغريم، والكلب لأصحاب الرقيم، إلى أن أجبته إليها..."(١).

وهكذا يبدو الخطاب في مقامات الهمذاني على لسان البطل أبي الفتح الإسكندري كنوع من السحر يمارسه على المستمعين، فهو يلتزم السجع والموسيقى والوضوح، غير أن هذا الخطاب قد يبدو أحياناً خارجاً عن النظام السجعي الواضح، ويصبح ركيكاً أحياناً، فيصير بعدها الخطاب مسئولا عن غياب السرد في المقامة.

ثالثاً- الراوي ومستويات الرواية: الراوي الشخص الذي يضطلع بمهمة حكاية الأحداث المسرودة، وقد يشارك الأشخاص في المقامة، وأولئك الرواة هم وسائل فنية تنهض بمهمة نسج الحكاية، وتمدنا المقامات العربية نفسها بشواهد كافيه تؤكد أن الرواة كانوا من اصطناع مخيلة مؤلفي المقامات، وأنهم وجدوا لأسباب تتعلق بفن المقامة(٢).

وفي مقامات الهمذاني نستطيع أن نميز أكثر من راوٍ مثل الراوي الخارجي صاحب جملة" حدثنا عيسى بن هشام"، وهناك الراوي عيسى بن

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٠.

(٢) إبراهيم، عبد الله، **السردية العربية- بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي**، ص٧١٩.

هشام الذي يقدم هو نفسه الأحداث المثيرة، وهناك رواة آخرون أمثال أبي الفتح الإسكندري في الرواية المضيرية، وكذلك التاجر أيضاً في الرواية ذاتها.

- **المستوى الأول:** الراوي الخارجي للرواية بدوره والذي يقول فيه"حدثنا" "حدّث" "قال" "أبلغني"، وغيرها كثير، ما هو إلا مقدم لراوٍ قادم، ونعرف منه أن هناك سرداً لاحقاً خيالياً وغير حقيقي، ويمثل هذا المستوى بديع الزمان الهمذاني نفسه، حيث يقول هذه الجملة، ومن ثم يترك للراوي الآخر تقديم الأحداث عنه.

فبديع الزمان الهمذاني حال روايته أحداثاً وقعت على لسان عيسى البطل الراوي، يلعب دوراً في داخل السرد، هو في الغالب دور سردي خيالي كعيسى وأبي الفتح، لأن السرد كان قديماً يلقي شفاهة على المتلقي، ولو كان مكتوباً لما أخذ البديع هذا الدور.

- **المستوى الثاني:** يخرج إلينا في هذا المستوى عيسى بن هشام، الذي يقدم للأحداث فهو راوٍ داخلي في المقامة، مهتم بالتاريخ والأدب واللغة العربية، ويعد أحد الفصحاء العارفين بالشعر، فيبرز في روايته السجع والطباق والجناس ومظاهر متنوعة من البديع والمحسنات اللفظية، " وعيسى بن هشام شخصية خيالية"[(١)]، يقوم بسرد أحداث جرت معه على لسان البطل أبي الفتح الإسكندري، ولكنه يدخل أحياناً في إطار الموضوع السردي.

فعيسى بن هشام هو من يتكفل بانجاز المهمات الأساسية، ورسم الفضاء في المقامة والمشاهد، والبطل والنسق السردي المتتابع، فضلاً عن

(١) الغزالي، عبد الله محمد، **البناء السردي في مقامات جلال الدين السيوطي**، ص١٦٤.

مهمة الوصف والخطاب والتعليق، فهو لم يسمع الواقعة وإنما شهدها وتكفل بتقديمها، فهو جزء منها.

وفي المقامة المضيرية كان عيسى يرسم فضاء المقامة" كنت بالبصرة"[١]، ويطرح البطل فيها"ومعي أبو الفتح الإسكندري"[٢]، وقدم لنا مشهد المضيرة" وحضرنا دعوة بعض التجار فقدمت إلينا مضيرة، تثني على الحضارة"[٣]، كما قدم لنا عيسى بن هشام الوصف" رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه، والبلاغة يأمرها فتطيعه"[٤].

وهكذا تسير الأحداث على لسان الراوي عيسى بن هشام حتى يصل عند أبي الفتح الإسكندري، ويترك بعدها جمال السرد للبطل، ويمثل عيسى بن هشام الدور الفاضح لسر أبي الفتح الإسكندري، فهو دائماً يتحدث عن أحداث ومواقف حصلت مع بطل المقامة، فالراوي عيسى يضطلع هنا بدور كبير، فبدونه تصبح المقامة مجرد وصف خال من البنية المنظمة.

- **المستوى الثالث:** يقوم بهذا المستوى شخصية من داخل الرواية، ومثال ذلك في المقامة المضيرية، حديث أبي الفتح الإسكندري عن المضيرة، ودعوة أحد التجار له، ويسمى التاجر هنا راوٍ تحت سردي[٥]، ففي المقامة المضيرية نجد أبا الفتح الإسكندري يلعب دور الراوي تحت السردي، مقدماً في ذلك سرداً أساسياً رائعاً جاذباً الأنظار إلى الأحداث

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.
(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.
(٣) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.
(٤) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.
(٥) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص١٤٥.

التي يرويها هو، حيث بدأ روايته بجملة" دعانا بعض التجار إلى مضيرة"[١].

- **المستوى الرابع:** وهو ما يسميه أيمن بكر بالمستوى تحت تحت سردي، حيث يتسلم التاجر من أبي الفتح خيط الرواية، مقدماً بذلك حكياً داخل الحكي الأساسي، فيصبح التاجر راوياً تحت تحت سردي[٢]، وقد بدأ هذا هذا التاجر حديثه بقوله: " يا مولاي لو رأيتها والخرقة في وسطها، وهي تدور في الدور..."[٣]، حيث استمر هذا التاجر في حديثه حتى نهاية القصة تقريباً، والتي انتهت بهروب أبي الفتح الإسكندري من بيته، ومن ثم سجنه بعد ضربه أحد المارة بحجر.

فالتاجر إذن هو الراوي الأكثر نصيباً في هذه المقامة، ويمكن تقسيم الرواة ومستويات روايتهم كالآتي:

* راوٍ خارجي_____ صاحب جملة حدثنا عيسى بن هشام (البديع الهمذاني).
* راوٍ داخلي_____ عيسى بن هشام حال روايته.
* راوٍ تحت سردي_____ أبي الفتح الإسكندري.
* راوٍ تحت سردي_____ التاجر البغدادي.

رابعاً: وللحديث عن دور البطل الراوي في صياغة عالم المقامة، يرد في المقامة المضيرية مثال لذلك إذ يبدأ أبو الفتح الإسكندري واصفاً دعوة أحد التجار له لتناول المضيرة، وبعد ذلك ينحسر دور عيسى بن هشام حتى نهاية المقامة، فأبو الفتح الإسكندري إضافة لدوره كبطل أصبح راوٍ لأحداث

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٠.
(٢) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص١٤٦.
(٣) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٠.

جرت معه والتاجر البغدادي، وعندما يكون البطل راوياً، فأنه يختلق قصة غريبة عجيبة، تصف حالة الضيق التي هو فيها، ليخلق تعاطفاً وجدانياً مع المروي عليه، ويكون ثمن هذه القصة محدداً بضوء غرابة الحكاية، وقد تكون المكافأة مادية، أو تكون معنوية كإبداء الإعجاب بالحكاية.

في المقامة المضيرية قام البطل بدور الراوي، وذلك لبرهنة الأسباب التي دفعته إلى لعن المضيرة وطابخها وآكلها، فجاء بقصة التاجر البغدادي، ليخرج من حرجة ذلك، وبيئة المقامة عندما يكون البطل راوياً، تختلف عنها عندما يكون بطلاً فقط، ولا يقتصر على ضمور دور الراوي المعروف وغيابه عن الجزء الأعظم من المقامة فحسب، بل تشمل الاختلاف لرؤية الراوي لمكونات الحدث، كما يشمل بنية الحكاية(١).

ونلاحظ في المقامة المضيرية أن الراوي الخارجي سلّم الرواية لعيسى بن هشام الراوي الداخلي، فيقوم بعدها عيسى بتسليم الرواية للبطل أبو الفتح الإسكندري الذي يقوم بدوره بتسليم الرواية للتاجر البغدادي، ويعدُّ عمل من الإسكندري والتاجر البغدادي راوٍ بطل.

خامساًـ المسرود له/ المروي عليه: وهو الشخص الذي يوجه إليه السرد، وكل سرد لابد أن يحتوي على مروي عليه واحد على الأقل، ويلعب المروي عليهم في السرد عدة وظائف ومن أهمها(٢) (٢):

* التوسط: يتوسط بين الراوي والقرّاء، ويساعد في طرح منظور الراوي للقرَّاء.

(١) إبراهيم، عبدا لله، **السردية العربية- بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي**، ص٢٠٤.
(٢) بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، ص٤٩-٥٠.

* التشخيص: حيث يكون المروي عليه شخصية داخل السرد، ويتحول الراوي إلى مروي عليه كما حصل في حال عيسى بن هشام عندما أصبح مروي عليه في المقامة المضيرية.
* تأكيد موضوع السرد: المروي عليه، إذا كان شخصية مؤسسة للوقف السردي فإنه يلعب دوراً مهماً في تأكيد موضوع السرد.

وللحديث عن المروي عليه، لا بد من توضيح مستوياته داخل المقامة نفسها، وهذه المستويات هي:

- جمهور الراوي الأول، صاحب جملة" حدثنا عيسى بن هشام"، أنه مروى عليه خارج عالم السرد، وهو غامض مجهول والذي نستطيع أن نفهمه من ذلك أن المروى عليه الخارجي هم تلاميذ بديع الزمان الهمذاني، عندما يلقي عليهم المقامة.
- مستوى المروى عليه الخاص بعيسى بن هشام، حيث يتحول الراوي الأول عيسى بن هشام إلى مروى عليه هو وجماعته، إذا ما قامت إحدى الشخصيات بعملية رواية الأحداث كما حدث في المقامة المضيرية، وهذا المستوى يعدُّ المحرك الأساسي لعملية السرد، ففي المقامة المضيرية ترسم جماعة المروى عليه في حالة تلهف لأكل مضيرة، ثم تدفع الإسكندري لسرد أحداث جرت معه أدت لرفضه المضيرة، ولم يقف دورهم عند حدِّ الاستماع، بل اتخذوا موقفاً واحداً بعد الاستماع لقصته، حيث قالوا: " فقبلنا عذره، ونذرنا نذره، وقلنا قديماً جنت المضيرة على الأحرار، وقدمت الأرذال على الأخيار "[١].

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٩.

نخرج من ذلك أن جماعة المروى عليه في هذه الحالة متآلفة مع بعضها، وحول صياغة الجمل السردية في القصة فهم شخوص فيها قبل أن يكونوا مروى عليهم.

وهذا المستوى ينطبق على بديع الزمان بعد فراغه من جملته الإفتتاحية" حدثنا عيسى بن هشام"، فيصبح بدوره مروى عليه، فهو يفهم لغة حديث عيسى وخطابه، وقد يكون معه جماعة بدليل قوله: حدثنا عيسى بن هشام، ولم يقل حدثني عيسى.... فهذه الجماعة هي صامتة غير متكلمة غير الجماعة السابقة.

وفي المقامة المضيرية يظهر مستوى آخر، حيث يتحول البطل أبو الفتح الإسكندري إلى مروي عليه في حكاية التاجر لشرائه البيت والعقد والوصف المتنوع، فيكون الإسكندري مروى عليه صامت لا يتحدث، وهو المعروف بأنه رجل الفصاحة والبلاغة.

نخلص بالنهاية إلى أن المروى عليه في مقامات البديع يلعب دوراً أساسياً في تشكيل عالم السرد، فهو اتصال بين المقامة والثقافة العامة ويدفع حركة السرد إلى الأمام، حيث انتهت المقامة بالخلاف ما بين الإسكندري والتاجر، أدت إلى هروب الإسكندري من منزل التاجر، ثم إلى السجن، ومن ثم تحريم أكلة المضيرة على نفسه.

سادساًـ التعرُّف وبنية الحكاية: التعرُّف هو مواجهة الراوي مع البطل، وهو التقاء عيسى بن هشام مع أبي الفتح الإسكندري، وقد يكون التعرّف قبل الحكاية، وقد يحصل بعد نهاية الحكاية، وفي المقامة المضيرية حصل التعرف بأبي الفتح الإسكندري قبل رواية حكايته مع المضيرة، حيث

يقول عيسى: " كنت بالبصرة ومعي أبو الفتح الإسكندري"[١]، وموقف التعرف أصبح ركناً أساسياً في البنية السردية للمقامة العربية، ويظهر ذلك بعد انتهاء دور الراوي المجهول، وبروز الراوي المعلوم الذي يبدأ بزرع مكونات الحكاية في عالم المقامة.

ففي حالة حصول التعرف قبل الحكاية المنسوبة للبطل، فإن نظام الحكاية يأخذ اتجاهين اثنين أولهما: أن البطل يلفق حكاية يخدع بها الراوي، وهنا لا يكون تعرّف أشخاص بل يكتشف أنه وقع ضحية حكاية ضللته، وثانيهما: قيام البطل بعلم من الراوي بإلقاء خطبة أو موعظة أو وصية أو فك ألغاز لغوية، ووصف أشياء مرئية.

وفي المقامة المضيرية ربما نستطيع أن نقول أن بنية الحكاية التي جاء بها أبو الفتح الإسكندري ربما كانت غير ملفقة وصحيحة لأنه لا يطلب من وراءها الكدية والحصول على العطاء، وإنما يريد منها تبرير عدم حبه للمضيرة، وإرضاء جمهور عيسى لأصحابه الجالسين معه، "وكل صيغ التعرف هذه التي تحمل معاني المفاجأة والدهشة، وعدم التوقع، كلها صيغ مكشوفة، وهكذا يظهر عنصر التعرف شديد الاتصال بالحكاية، بل هو جزء منها كما يظهر كعنصر مهم في البناء السردي للمقامة"[٢].

- **الرؤية السردية:** تتسم هذه المقامة بأنها لا تتمحور حول موضوع واحد، فهي تختلف عن بناء القصة والرواية، فهذه المقامة يتولد فيها عدة قصص قصيرة داخلها، وينتج من ذلك التوالد عدة رواة يرون هذه القصص، فنشاهد في المضيرية وجود عيسى بن هشام والإسكندري والتاجر، وكل منهم روى قصة معينة، وقد أتخذ السرد في مقامة

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص١٩.

(٢) الغزالي، عبد الله محمد، **البناء السردي في مقامات جلال الدين السيوطي**، ص١٨٢-١٨٣.

الهمذاني هذه سمة واحدة، تمثلت في الاقتصار على صيغة الماضي المطلق.

ويظهر أسلوب السرد بضمير المتكلم عنصراً قارّاً في مقامات الهمذاني، حيث سمح الراوي

التدخل المباشر بالأحداث والدخول إلى بطله، ومعرفة أسراره وأفكاره، وإذا أردنا أن نبحث عن دور للسرد في مقامات الهمذاني وجدناه مقتصراً على التقديم للحوارات التي عملت على كشف الأحداث وتطويرها من خلال التتابع القولي بين الأطراف المتجاورة.

لقد أخذ الوصف دوره في السرد بشكل واضح في المقامة المضيرية، وأسهم في إطالتها عن غيرها من المقامات وتخللها وصف للشخصيات والأماكن والمحال والمجالس، وهذا الوصف يؤدي إلى إعاقة حركة الأحداث، ومن السرد الوصفي للشخصيات وصف التاجر لزوجته: " يا مولاي لو رأيتها وهي تدور في الدور من التنور إلى القدور ومن القدور إلى التنور، تنفث بفيها الغبار، وتدق بيديها الأبراز، ولو رأيت الدخان وقد غبر ذلك الوجه الجميل، وأثر في ذلك الخد الصقيل، لرأيت منظراً تحار فيه العيون"(١).

ومن وصف التاجر البغدادي للأماكن، يظهر وصفه لبيته، حيث يقولفيه: " وأنظر إلى حذق النجار في صنعة هذا الباب، اتخذه من كم؟ قلت: ومن أين أعلم هو ساج من قطعة واحدة لا مأروض ولا عفن، إذا حرك أن، وإذا نقر طن"(٢) (٢)، ويظهر وصف الراوي لمحلته في بغداد، حيث يقول: " يا مولاي ترى هذه المحلة، هي أشرف محال بغداد، يتنافس

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢٠.

(٢) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢١-٢٢.

الأخيار في نزولها، ويتغاير الكبار في حلولها، ثم لا يسكنها غير التجار وإنما المرء بالجار"[١] [٣].

ويلعب الراوي في مقامات الهمذاني عامة والمضيرية خاصة دورين رئيسيين وهما: كونه السارد للأحداث والمقدم لها، وكذلك هو المشارك فيها، وهذا ما أنطبق على أبي الفتح الإسكندري، حيث روى وقدّم وشارك، وقد نزع الكاتب على استخدام الصيغ الفعلية الماضية في تشكيل البنية السردية المترابطة، ويدور ذلك كله في ثلاث حلقات وهي:

*الحلقة الأولى: يتم فيها التقديم للأحداث،(أحداث يقوم بها الراوي، الذهاب إلى بيت أحد التجار).

*الحلقة الثانية: مختصة بإجراء الأحداث وتسلسلها، (تشكل أحداث المقامة، دعوة التاجر لأبي الفتح الإسكندري).

*الحلقة الثالثة: اختتام الأحداث، (انتهاء القصة بسجن أبي الفتح وتحريم المضيرة).

(١) فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، ص٢١.

خاتمة البحث

ظهرت في المقامة المضيرية صور الفرح والتهكم والسخرية، وقد خلت المقامة من الشعر بأنواعه، وكان للمحسنات البديعية في المقامة ظهوراً واضحاً، كالجناس والطباق والسجع، وقد جاءت مستويات التبئير في سبعة مستويات مثل الراوي الأول والراوي الخارجي(عيسى بن هشام)، والداخلي لعيسى بن هشام، والخارجي(الإسكندري)، وداخلي للإسكندري، خارجي للتاجر، داخلي للتاجر حال وقوع الحدث.

وشمل موضوع التبئير في المقامة المضيرية الشخص والدهر والمكان، فالشخصيات كانت ظاهرة مثل: عيسى والإسكندري، والتاجر، ويلحقهم أشخاص ثانويين، وهم: المرأة والزوجة والغلام...

أما الزمن الحكائي، فقد ناقشناه من عدّة جوانب مهمة، منها ترتيب الأحداث من خلال زمن التوازن المثالي، توازن الزمن مع الحدث، وقد كسر هذا التوازن في المقامة المضيرية؛ لأنه اعتمد على الاسترجاع الخارجي والمزجي، والتي ناقشناها من خلال حالة الانطلاق من وسط المتن الحكائي.

وتعد الديمومة عنصر مهم في عالم السرد، ففيه الحذف والتلخيص، وهما نوعان من التبطيء السردي للأحداث، يتم من خلالها حذف مواقف ومشاهد معينة، أما المشهد والوقفة فهما على العكس من ذلك، ويتم فيهما تبطيء الأحداث السردية بشكل كبير؛ لأن الكاتب يتوقف في السرد أثناء الوقفة.

وقد نال الفضاء الحكائي نصيبه من البحث في عالم السرد، من خلال الحديث عن بعدي المقامة المضيرية، وهما المدينة الرئيسة لعالم السرد، والأماكن التي ظهرت من خلال ذلك السرد، وتأتي مكونات النص

السردي في المقامة المضيرية، كالوصف وأنواعه، وجاء في بداية المقامة وفي ظهور البطل، وفي حديث البطل كذلك، ثم جاء بعد الوصف علاقة السرد بالخطاب، وخلو المقامة المضيرية من السرد الزائد، كان للراوي ومستويات الرواية دور لا بأس به من هذه المقامة، حيث تعرفنا على مستويات الرواة في المقامة المضيرية وهي: الراوي الخارجي والذي يبدأ بجملة حدثنا عيسى بن هشام، ومستوى عيسى بن هشام الذي يرسم فيه فضاء المقامة، وبطرح بطلها، أنا الإسكندري فهو راوٍ تحت سردي، والتاجر راوٍ تحت تحت سردي الأحداث.

أما البطل فقد كان راوياً في المقامة المضيرية، وهو أبو الفتح الإسكندري، خلافاً عن باقي مقاماته، والتي رواها عيسى بن هشام، وعن المسرود عليه فهو الشخص الذي يوجه إليه السرد، وهو عدة مستويات مثل: جمهور الراوي الأول خارج عالم السرد، والمستوى الثاني الخاص بعيسى بن هشام وجماعته عندما يستمعوا لأبي الفتح الإسكندري، والمستوى الثالث جملة حدثنا عيسى بن هشام الذي يبدأ بها بديع الزمان الهمذاني، أما المستوى الرابع، حيث يتحول فيه البطل إلى مروي عليه في المقامة المضيرية عندما يبدأ التاجر بالحديث.

وحصل التعرف في المقامة المضيرية بين الراوي والبطل قبل بدء أحداث الرواية، وانتهى البحث إلى رؤية سردية عامة للأحداث.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الله، **السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، القاهرة.
- بكر، أيمن، **السرد في مقامات الهمذاني**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
- الحمداني، حميد، **بنية النص السردي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.
- الغزالي، عبد الله محمد، **البناء السردي في مقامات جلال الدين السيوطي**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.
- فاعور، أكرام، **مقامات بديع الزمان الهمذاني وعلاقتها بأحاديث ابن دريد**، دار إقرأ، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

سابعاً :
أصول اللغة